

سلسلة: الحب والرعب
العدد الأول: على أمل
تأليف: سالي عادل

الرواية مسجلة باسم المؤلفة لحماية حقوق الملكية الفكرية، وأي سرقة أو اقتباس تعرض صاحبها للمساءلة القانونية.

للتواصل:
sallyadel1@hotmail.com

مدونة (قصص رعب)
www.kesasro3b.blogspot.com

مقدمة

ربما من الاستثنائي أن تحظى بصديق يحب الرعب. لذلك منذ حظيت بصداقتك لم أفرّط أبدًا.... أنا حتى لم أفكر لماذا وحدك تطاوعني في سماع تلك الحكايات في حين يسخر الآخرون.. لم أفكر لماذا تسمي نفسك (فانتوم) ولا تدعني أرى صورتك أو أعرف أي شيء عنك طوال فترة دردشتي معك.. لماذا لا تُعمِل الكاميرا، هاه؟! هل تظن أن هذا يكفي لأصدّق إدّعاءك أنك شبح؟ هل تهدف لإخافتي؟ أصارحك. هذا لا يكفي لإخافة قِط!

أنت لا تعرفني جيدًا بعد. تلك التي تحدثك ـ همم.. لا أجد فضلاً أنسبه لنفسي.. لنقل أنني ـ أكثر من خافت بالعالم. ولذلك، ليس بإمكانك إخافتي بسهولة... أنا حتى ذات مرة.... آه... سأحكي لك من البداية.

~

- "احكِ لي أحجية!"
- "لم يبقَ في جعبتي غير الحكايا السيئة

فاسمعيها يا ابنتي مسرعة"

عبَرَتْ فيها الليالي... مبطئة![1]

~

[1] قصيدة طفلتها، ديوان مقتل القمر. جميع الاقتباسات لـ (أمل دنقل)

1

يوم الأمنية

ارتكنّا إلى حائط، وانضممنا إلى بعضنا.. أخرجت (مشيرة) شطيرة وبدأت تلتهمها في تأثر:

- أشعر بالذعر لكأني طفلة أضاعت أمها، أخبركما شيئًا؟ إن التيه لسيء! والرحلات مرعبة!

قالت (عصمت):

- هو خطئي من البداية أن أطعتكما، إن أطعتكما بعدها فلأُقتل أو أُشنق!

قلت لهما:

- لا تضخما الأمر؛ نحن لسنا في مجاهل أفريقيا، نحن عند الأهرامات.. يعني إذا تعذّر علينا الوصول للرفاق يمكننا ببساطة أن نستقل حافلة ونعود..

أشارت (مشيرة) إلى تجمّع على مد البصر:

- ما هذا؟

دققتُ النظر: كان تجمعًا للسيّاح حول شيء ما.. قمنا ننفض ملابسنا إلى هناك.. كان مزارًا للأمنيات: بئر جافّة عميقة محاطة بالأسوار، وعلى الزوّار أن يرموا عملاتهم ويتمنوا... وقد خدعهم أحدهم بأن أمنياتهم مُجابة..

صاحت (مشيرة):

- واو!

وأخرجَت جنيهًا معدنيًا بسرعة وهمّت لترميه، لكنها توقفت على ضجّة ما.. استدرنا فإذا بمجموعة من الفتيات يقبضن على رجل عجوز يوسعنه ضربًا.. ويحاول تخليص نفسه فيلوّح بعصاه ولكنه لا ينالهن، فيزيدونه من ضرباتهن وسبابهن.. انفلتت منّا (عصمت) وذهبت إليه تدفعهن عنه في عنف، وتقول:

- أقسم أن أمزقكن إربًا إذا لمستن شعرة من هذا المسكين! لم تعد بالقلوب رحمة! ولئن لم أمنعكن عنه فلأُقتل أو أشنق!

توقفت الفتيات إذ تفاجأن بسلوك (عصمت)، ومن خلفها جاء ضابط أمن على عجل:

- ما الذي يحدث هنا؟

بادره العجوز بوهن:

- لا شيء! لا شيء!

قال الضابط:

- إذًا لا تجمهر. فليذهب كلٌ إلى حال سبيله.

برطمت الفتيات بكلمة أو اثنتين قبل أن يبتعدن.. ذهبتُ إليه: كان واهنًا جدًا مضعضع الجسد وعينيه منغلقتين، ربتُّ على كتفه، وأصلحتُ من ثوبه..

مدَّتْ إليه (مشيرة) يدها بالجنيه المعدني الذي كان معها، لكنه لم يبدِ أية استجابة، فطوت يدها بالجنيه، ويبدو أنها قارنت بين حالة العجوز وقيمة الجنيه، فأخرجت ورقة من فئة العشرة جنيهات مدّت بها يدها، ولكنه أيضًا لم يستجب.. هكذا ـ ومع انغلاق عينيه والعصا في يده ـ أدركنا أنه كفيف، فوضعناها في يده، وأجلسناه في أحد الأركان، واستأذنّا في الرحيل لكنه قال لاهثًا:

- لحظة!

ووضع يده في جيبه فأخرج عملة معدنية قديمة ومدّ يده بها قائلاً:

- أنتن بنات طيبات.. خذن هذه العملة، إنها من عالم ليس بعالمكن، اقذفن بها في البئر وتمنين أمنية!

التقطت (مشيرة) العملة بسرعة:
- وستتحقق؟!

ابتسم العجوز في رضا. كانت العملة مطموسة الملامح مع هذا تبيننا على أحد وجهيها رسمًا وعلى الآخر كتابة..

قالت (عصمت): لنرميها، علّها تستقر على الملك : السلطة والقوة والانحناء في حضرته
قالت (مشيرة): لنرميها ودعيها تستقر على الملك : الشهرة والجاه وإشارات الأصابع إليه
وقلتُ: ولماذا لا تستقر على الكتابة : الحرف، بث الروح.. أصل الأشياء ومنتهاها...

نظرنا إلى بعضنا وضحكنا، شبّكنا أذرعنا وسرنا إلى البئر نردد: معانا ريال معانا ريال... للـ..للـ..لا..... لللـ للـ لا،، للـ..للـ..للـ... للـ..للـ..للـ...

قالت (عصمت) لـ (مشيرة):
- هاتي العملة لأرميها

قالت (مشيرة):
- أنا من سيرميها..
- بل أنا
- بل أنا، أخبركِ شيئًا؟ وسأتمنى
- أنا من يرميها يا (مشيرة) وإن رماها غيري فلأُقتل أو أُشنَق

كنت أعرف ما الذي تتمناه كل منهما، (عصمت) المولعة بـالحوادث والمجـرمين والسـفاحين، و(مشـيرة) المهووسـة بـالنجوم والفنانين والمشـاهير.. التفتُّ، سرحتُ في الأفق: وأنا.. عاشقة الأدباء والشعراء و.....

وقعت عيني على العجوز على البعد، كان ناظرًا إليّ بعينين متسعتين!!

وقع في قلبي: ألم يكن أعمى؟ التفتُّ أخبرهما، لكني وجدتُ (عصمت) وقد اختطفت العملة مـن (مشـيرة) ورمـت بهـا إلـى العمق، تبعتها بعيني إذ تسقط هي وفكّي معًا.. ضـمّت (عصـمت) رأسـينا بكفيهـا، وتمتمـت بشـيء مـا! حـررتُ رأسـي حـين استطعت قائلة:

- لماذا تعجلتِ يا (عصمت)! إن هذا الرجل مبصر، لقد كان فاتحًا عينيه الاثنتين الآن!
- ماذا تقولين؟
- ها هو! انظري!

لكنّا إذ نلتفت لم نجد له أثرًا لكأنه اختفى.. تحدثا إلى بعضهما:

- إنها تخرّف
- لقد أذابت الشمس رأسها

صحت بهما:

- اصمتا! إن هذا الرجل مريب، وأنا أخشى من تلك الأمنية، ماذا تمنيتِ يا (عصمت)؟
- دعكِ من هذا الآن... إن ما يشغلني لهو أخطر من هذا
- ماذا؟

وضعت ذراعها على كتفي إذ نسير وقالت:

- تلك البئر، المكدسّة بآلاف العملات والوريقات من كل لون... تُرى من الذي ينظفها ليلاً؟

أنزلتُ ذراعها في عنف:

- أنتِ لا تصدقينني.

ثم مددتُ الخطا، ومن خلفي أسمع (مشيرة) تحدثها:

- دعكِ منها واخبريني ماذا تمنيتِ يا (عصمت)؟
- لن أخبرك!
- بل اخبريني
- أخبرتك أني لن أخبرك!
- بل اخبريني، اخبريني، أخبركِ شيئًا؟ ستخبرينني!
- بل لن أخبرك، لن أخبرك، وإن أخبرتك بعدها فلأُقتل أو أُشنق!

~.~.~

2
اليوم السابق للأمنية

معنا ساعة إذًا قبل المحاضرة..

جلسنا نأخذ مشروبًا في الكافيتيريا.. كان ذلك حين دخل أحدهم فرنّت صافرة (عصمت) مدويّة، عنفتها (مشيرة):
- لا تفعلي هذا ثانية يا (عصمت)

أيدتُها:
- قولي لها! لطالما أخبرتها أن البنات لا تصفّرن لدى رؤية الرجال

تابعت (مشيرة) مستنكرة:
- إنها تصفّر في أذني!
- هاه!

قالت (عصمت):
- اعذراني.. إنه فوق الاحتمال

تطلعت (مشيرة) :
- أوه! إنه قطعة من (حسين فهمي)، نسخة من (أحمد عز)..
- لكن (أحمد عز) لا يشبه (حسين فهمي)
- أخبركما شيئًا: إنه كنجوم السيما!

قاطعتها (عصمت) بحدّة:
- لا، لا.. إنه أكثر خشونة من مدللي السينما أولئك! إن به قدرًا من الرجولة لم يجتمع لرجل من قبل، إن لم يكن هذا (جاك السفّاح) فلأُقتَل أو أُشنَق!

كنتُ أعدُّ شيئًا لردعمها لكني إذ أنظر إلى حيث ينظران وجدت أني أقول:
- لا يمكن أن يكون تافهًا كالفنانين أو ساديًا كالمجرمين، إنه لأرق وأعمق مما تزعمون.. أراهن بعمري إن لم يكن شاعرًا أو أديبًا..

قالت (عصمت):
- إذًا تموتين صغيرة، إنه المعيد الجديد بكليتنا!

صرخنا معًا:
- واااو!

كنت أرقبه إذ يرشف من القهوة ويطبع على حاسبه المحمول، فأتخيل أنه يكتب قصيدة في عينيّ ويأتي إليّ يهديني إياها، ثم أقول لهما:
- لا بد أنه يكتب الشعر بجانب عمله الأكاديمي

وكانت (مشيرة) تلحظ نظرات الطالبات في الكافيتيريا إليه فتتخيل أنه يطلبها للرقص في رقصة طويلة مرتجلة تدهش جميع الفتيات اللاتي ينظرن إليه الآن وتثير حسدهن، ثم تلتفت إلينا وتقول:
- لا شك أنه يذهب إلى التصوير في غير أوقات عمله الأكاديمي

أما (عصمت) فجذبها جسده الرياضي، والعضلات البارزة من كمه القصير.. كانت تنظر إلى شعراته الثائرة ولحيته غير المهذبة، وتنجذب إلى صرامته في مواجهة نظرات الفتيات فتتخيل أنه يأخذها إلى الغابات الإستوائية ليصيدا الغزلان ويواجها الأسود والغيلان، ثم تنظر إلينا وتقول:

- لا مفر من أنه يقتل الفتيات المنحلاّت، بعد عمله الأكاديمي

كنت أعرفهما جيدًا، فالذي لا يعرف أصدقائه ـ آجلاً أو عاجلاً ـ لا يملك أصدقاء!

أعرفهما وأعرف جنونهما وتطرف أفكارهما.. أعرف اختلاف كل منهما عن الأخرى، وعنّي، وأعجز عن معرفة سبب صداقتنا رغم هذه الاختلافات

أعجز عن فهم ترقبي لما يأتي بعد عبارة "أخبركما شيئًا" في كل مرة تقولها (مشيرة)، بالرغم من أنها دومًا لا تُضيف جديدًا بعدها.. ولا سر الحماس الذي ينتقل إليّ ما إن تقل (عصمت): "فلأُقتل أو أُشنق"!

~

أما وقد انقضت الساعة، فقد ذهبنا إلى المدرّج، وجلسنا للمرة الأولى في تاريخنا العلمي في الصف الأول.. وتبعنا إلى الداخل: المعيد الجديد..

كانت له طريقة فريدة في الشرح، وقد استولى على اهتمامنا ربع ساعة كاملة نتابعه ولا نتحدّث، حتى غلب الطبع في النهاية: فعقولنا لم تكن مبرمجة على الفهم في المحاضرات.. وكنّا مشغولات بالمواضيع الصحفية التي يجب أن ننجزها لصحيفة الكلية التي نتدرب بها حتى نحصل على درجات أعمال السنة، فسألتُ (مشيرة):

- كيف مضى الأمر معكِ فيما يخص (سامر شهدي)؟

تبدل وجهها:

- ألف ألف اتصال ولا يرد.. ألا يتحرك فضوله مرّة ليعرف من هذا اللحوح الذي يتصل به؟
- إذًا سكتِّ؟
- لا! أرسلت له رسالة أخبرته أني معجبة به أشد الإعجاب ولا أريد إلا أن يفتح الخط حتى ولو لم يقل حرفًا، ومع ذلك لم يرد
- إذًا كففتِ؟
- لا! انتظرت عدة أيام ثم أرسلت له رسالة أخبره ألاّ يظنني معجبة، وإنما أنا صحفية أريد أن أجري معه حوارًا حول ألبومه الأخير، ولكنه ـ للنحس ـ لم يرد
- إذًا اكتفيتِ.
- لا! انتظرت عدة أيام ثم أرسلت له رسالة أخبره ألاّ يظنني صحفية، وإنما أنا شاعرة أريد أن أُسمعه الأشعار التي أكتبها علّه يغنيها.. ولكنه ـ كالعادة ـ لم يرد
- ياللكِ من مثابرة!
- أنا وراءه يا بنتي حتى يُجيب ويعرف كم أنا معجبة به، أخبركِ شيئًا، سيعرف سيعرف!
- لكِ طول العمر!

ثم التفتُّ إلى (عصمت):
- وأنتِ ماذا فعلتِ في حكاية السفّاح؟
- إن حكايته حكاية! كلما ذهبت للقسم وطلبت من الضابط رؤيته رفض
- ألا تُرينه كارنيه التدريب؟
- أريه، لكنه يظل يردد أن هذا غير قانوني، مع ذلك يسمح لمراسلي القنوات الفضائية والصحف الكبرى!
- أقترح عليكِ أن تبحثي عن قضية أخرى، فما أكثر الحوادث ببلدنا
- مهما كثرت الحوادث فلا شيء يوازي سفك دماء النساء في الطرقات ليلاً.. إن الطريقة التي يمزّق بها ضحاياه....

ثم أمسكت (عصمت) القلم ولوّحت به في وجهينها:
- تيك! تاك! لتأسرني!

هنا صاح المعيد:

- إن هذا السخف فاق الحد! ألا تخجلن من الجلوس في الصف الأول والثرثرة بلا انقطاع؟ وكلما نظرت لكن أقول الآن ينتبهن، الآن يصمتن فقط لتتمادين.. تفضلن للخارج!

قالت (عصمت):

- لكن يا دكتور...

أشار إلى الباب بحزم:

- تفضلن!

مشينا صفًّا من البنات المهذّبات، وحين خرجنا من الباب قالت (عصمت) بضجر:

- ألا يدعونا مرّة نكمل محاضرة!

نظرنا لبعضنا وضحكنا... سألتني:

- وأنتِ هل أنجزتِ مقالك عن (أمل دنقل)؟

بادرتها (مشيرة):

- المحظوظة ليس عليها أن تتشحطط في مقابلة الفنانين الأوغاد المشغولين دائمًا، ولا المجرمين الأفاضل المحبوسين دائمًا، فقط أن تجلس خلف مكتبها وتكتب عن ذكرى رحيل (دنقل).. لا أعرف لماذا لم أتدرب في صفحة الأدب مثلك

عاجلتها (عصمت):

- لأنه يجب أن تملكين بعضًا من صفات القسم الذي تتدربين فيه

تساءلت (مشيرة) وهي تديرها في رأسها:

- إذًا أنا فنّانة؟

ثم أكدّت بسعادة:

- أنا فنّانة وأنتِ مجرمة! هاهاها!

كوّرت (عصمت) قبضتها:

- أنا مجرمة يا فتاة؟!

لكم يصدّعان رأسي.. هتفتُ:

- يالكما من وغدتان! ألا تكفّان عن لعب دوري القط والفأر أبدًا؟

التفتُّ إلى (مشيرة):

- الكتابة عن ذكرى (دنقل) ليست بالبساطة التي تتخيلينها! الأمر عندي أصعب مرّات... أنتِ في حواراتكِ تنقلين كلمات أدلى بها غيرك.. أما أنا فسأصنع عالمًا بالكامل عن شخص راحل، وليس أي شخص.. إنه (أمل دنقل) الذي أسرتني أشعاره أعوامًا طويلة: ثورته ورقته ومناجاته للحبيبة كأنه يدغدغها دغدغة... كل هذا كيف يُكتَب بالله!

قالت (عصمت):

- التي تهيم بمطرب! والتي تهيم بشاعر!

ثم حوطتنا بذراعيها وقالت:

- إن لم تكونا مجنونتين فلأُقتل أو أُشنق!

قالت (مشيرة) ضاحكة:

- إذًا لنكون عاقلتين مثلك ونحب سفّاحًا!

خطونا إلى البهو، وتوقفنا كعادتنا أمام لوحة الإعلانات، قرأتُ بصوت مرتفع:
- تعلن إدارة رعاية الشباب عن قيام رحلة يوم الأحد ـ أي غدًا ـ إلى الأهرامات..

قاطعتني (مشيرة):
- لنذهب

تجاهلتها (عصمت):
- ليس هناك خيارات أخرى غير الأهرامات؟

عاجلتها (مشيرة):
- بل سنذهب للأهرامات يا (عصمت)
- بل لن نذهب
- سنذهب يعني سنذهب
- بل لن نذهب يعني لن نذهب، وإذا ذهبنا بعدها فلأُقتل أو أُشنق

~.~.~

3
اليوم التالي للأمنية

أيضًا، للمصادفة، معنا ساعة حتى المحاضرة.. هكذا دلفنا إلى الكافيتريا.. سمعت صافرة الرسائل القصيرة.. فأدهشتني رسالة غريبة على هاتفي المحمول.. هتفت بهما:

- انظرا!

التقطت (مشيرة) الهاتف وقرأت:

"ملاكي: أنا في شمال الشمال"

قالت:

- ما معنى هذا؟
- لا أعرف
- هل تعرفين الرقم؟
- إنه سري!
- علّها معاكسة.. لا تشغلي بالك..

وطلبت لنا المعتاد.. ثم راحا يتبادلا الشجار المعتاد كذلك.. حتى لحظة توقفت (مشيرة) عن الرد على (عصمت) فأدركت أن ثمة قوة خارقة أوقفتها.. أشارت بطرف عينها إلى أحد الأشخاص متسائلة:

- لماذا ينظر هذا الفتى إلى (ليلى) هكذا؟

وسألتني:

- أتعرفينه؟

أشرت برأسي أن لا، وإذ وصلت الطلبات صاحت (عصمت):
- يا (أبو السِيد) يا جامد! تحمل كل هذه الطلبات على يد واحدة ولا تهتز!

ثم مالت عليه تسأله:
- من هذا الفتى الجالس هناك؟
- لا أعرف.. إنها المرة الأولى التي أراه..

هو ليس رائع الجمال لكن شيئًا به يجذب. نظراته مربكة من فرط جرأتها.. حين أنزل (سيد) طلباتنا أو قهوته كان ينظر لي، وحين ننظر ثلاثتنا له يظل ينظر لي... أمّا المرة الأخيرة التي نظر فيها لي فقد ابتسم أيضًا..

هنا انتفضت (عصمت).. أمسكتُ و (مشيرة) بمعصميها بحركة تلقائية، نحن نعرف جنونها مسبقًا، لكنها أفلتت، وذهبت إليه.. خبطت على مائدته وقالت:
- أهناك شيئًا يا أخ؟

قام ببطء، وقال:
- نعم، معجب بصديقتك

قالت متهكمة:
- هكذا إذًا؟ رائع! وماذا تريد؟
- أريدها

كظمَت (عصمت) غيظها:
- أتعني أنك تريد أن تتزوجها؟

- لا.. لم أذكر حرفًا عن الزواج

أمسكَت ياقته بعنف:
- إذًا أنت وقعت في الشخص الخطأ، ولئن لم أجعل منك أضحوكة فلأُقتل أو أُشنق!

حرر ياقته:
- لا تسيئي فهمي يا آنسة.. أنا فقط أريد أن أكتب عنها قصيدة

استنكرَت (عصمت):
- ماذا!!؟

ثم صمتَتْ علّها تزن مدى مشروعية الطلب في رأسها.. كنت أقف على بعد خطوات منهما، يرتجف قلبي في انتظار قرارها، وإذ تحدثَتْ أخيرًا قالت:
- نحن لا نحب كتابة القصائد فينا.

زفرتُ في يأس. استدارت (عصمت) وأمسكت بمعصمي تجرني إلى الخارج، صاح بي:
- انتظري! ما اسمك؟

التفتُّ أنظر إليه في حيرة، ابتسم لي، جذبتني (عصمت) جذبًا، حملتُ ابتسامته على وجهي ومضيت معها حتى صرنا بالخارج تمامًا فأنزلتها، حررّت معصمي، وتوقفت:
- لماذا استخدمتِ ضمير الجمع يا (عصمت)؟
- هكذا إذًا؟ أنتِ حرّة يا ستّي ولئن تدخلتُ لكِ بعدها فلأُقتل أو أُشنق!

ثم رن هاتفها فردّت وقد حمّلت الغريب عصبيتها دون داعٍ:

- أفندم؟

انسحبت (مشيرة) تشتري بعض العلكة.. نظرتُ إلى (عصمت) وقد تبدّل وجهها إلى الارتباك المصحوب بالذعر وهي تقول:
- أهلاً وسهلاً يا باشا.. أنا شديدة السعادة باتصال سيادتك.. تفضّل..

ثم تحوّل وجهها إلى الاندهاش المصحوب بالبهجة:
- حقًا؟ حقًا يا باشا؟ هذا أسعد خبر سمعته بحياتي.. إنني لممتنة ممتـ....

ثم قطعت حديثها وأنزلت الهاتف، صحت:
- ماذا؟
- أغلق الخط.
- بل ماذا أخبرك؟
- أخبرني أنه... سيسمح لي بملاقاة..

ثم صمتت لحظة لتزيد الترقب:
- السفّاااح!
- واااااو!

جاءت (مشيرة) ركضًا:
- لن تصدّقوا ما حدث، منذ دقيقة واحدة حدّثني...

ثم صمتت أيضًا حسب الحيلة السابقة.. فغرتُ فاهي في انتظار المفاجأة، تابعت بصوت مسرحي:
- (سامر شهدي)!
- أوووه!

للحظة وقفنا مذهولتيْن، ثم انفجرت صيحات السعادة، ودرنا معًا في فراغ الجامعة:
- معانا ريال.. معانا ريال
دا مبلغ عال ومش بطال..
للـ.... للـ.... لا.... للـ.للـ.لا...

ثم توقفنا فجأة، واتسعت عيوننا إذ نصوب نظراتنا تجاه (عصمت):
- الأمنية؟

قالت في دهشة:
- يبدو أنها.

وتابعت:
- لقد تمنيت أن نلقى أحبّائنا.

ثم تشابكت أذرعنا وتابعنا طريقنا إلى المدرّج على نغمات الـ " للـ.للـ.لا..."

وفي المحاضرة، بالضبط لم يبدُ لنا المعيد رائعًا، كان سخيفًا وله ذلك الطراز من الجمال المقزز، كما لم يكن بارعًا في الشرح بل تقليديًا إلى أقصى حد.. ولا يملك وسامة نجم، ولا قوة سفّاح ولا رومانسية شاعر..

وحين رنّت الصافرة المميزة لرسائلي القصيرة، نظر إليّ المعيد:
- ألم أطلب منكم إغلاق الهواتف؟
- آسفة يا دكتور

لكزتني (عصمت):

- هو ليس دكتور بعد، إنه بالكاد معيد

ثم حشرا رأسيهما بيني وبين الموبايل يحاولان أن يطالعا الرسالة معي، لكني دفعت برأسيهما لأتمكن من القراءة، فاختطفت (مشيرة) الموبايل وتطلعت فيه لوهلة، قبل أن ترميه شاهقة.. فتناولته (عصمت) التي لم يكن أداؤها أفضل.. ثم تركاه لي على الطاولة... وأنا أدير رأسي بينهما:

- ماذا هناك يا (مشيرة)؟

ما الأمر يا (عصمت)؟

وهما ناظرتان أمامهما ولا تردان فيما بدا أنه تركيز مفاجيء في الشرح، فتناولت الموبايل وقرأت:

"أنا قادم من شمال الشمال.. لعينين في موطني، موطني"[2]

والتوقيع:

"(أمل دنقل)"

~.~.~

[2] رسالة من الشمال، ديوان مقتل القمر.

4
لازلنا في اليوم التالي للأمنية

صمتنا لآخر المحاضرة.. خلا المدرج إلا منا، وأخيرًا هتفت (مشيرة):
- إنها مزحة بلا شك! أو خدعة.. علّها (رجاء) التي لا تطيقك في السماء ولا في الأرض.. هي أرادت أن تتولى كتابة موضوع (أمل دنقل) لكن رئيس القسم أعطاه لكِ أنتِ.. أليس كذلك؟

نظرت إليّ تنتظر الجواب.. لكنني بقيت ناظرة إليها نظرة ثابتة.. هتفت:
- ما الأمر يا (ليلى)؟ لماذا تنظرين إليّ هكذا؟ هل تشكّين بي؟ إن قصص الرعب التي تقرأينها علّمتك الشك حتى في أقرب الناس... وإني لم أكن لأتوقع منكِ هذا!
- تؤ!

أشحت بوجهي بعيدًا، قالت (عصمت):
- صهِ يا (مشيرة)! لا تخرّفي! (ليلى) لم تقل شيئًا...

ثم نظرت إليّ وقالت:
- أنا مع (مشيرة) أن الأمر أبسط مما نتخيل.. وآجلاً أو عاجلاً سنكتشف صاحب هذه اللعبة ولئن لم أنتقم منه فلأُقتل أو أُشنق!
- لكن أنتما حصلتما على موعدين من المطرب والسفّاح، الآن فقط، وبعد الأمنية
- محض صدفة!
- هل تصدّقين هذا؟

ربتت على كتفي:

- لا نملك شيئًا، عزيزتي، إلا الانتظار لنرى

دلفت (رجاء) من الباب تتبعها زعابيبها:
- مبروك يا (ليلى)! أرى أنكِ حصلتِ على موضوع (دنقل)

قالت (عصمت):
- نعم.. حصلت عليه، وليمت بغيظه من يمت!
- لكن كيف! كيف؟ إنني أجدر شخص بالكون بالكتابة عن (دنقل)، إنني أحفظ قصائده، ملامحه، سيرته، آرائه بالحياة

قالت (عصمت) بسخرية:
- أنا سأخبركِ كيف... ما حدث أننا ذهبنا إلى مزار الأمنيات عند الأهرامات، وحصلنا على عملة من عجوز متشرد... فرميناها وتمنينا أن يعود (دنقل) لـ (ليلى).. هاه.. ارتحتِ؟

نظرت إليها (رجاء) من أسفل لأعلى قائلة:
- يا سلام!
هل يمكن أن أصدّق هذا الهراء؟

وغادرت.

~

في طريقي للبيت، كنت غارقة في خواطري السوداء، إلى أن وقع موقف غريب شغلني عن التفكير.. رأيت على البعد سيدة في منتصف العمر تسير بخطوات جادة وقورة، وترتدي تاييورًا تصل تنورته إلى أسفل الركبة في حين يتدلى جوربيها، ويتبعها مجموعة من الشباب يغرقونها بفيض من التعليقات والضحكات... وقد بدت مستاءة جدًا وعلى وشك البكاء، ثم إن

سيّارة عبرت جوارها فأبطأت السير وفتحت الباب تدعوها للداخل... وقد بدا عليها الارتباك غير أنها ولجت... وسارت السيارة وابتعدت وسط تعليقات الشباب المشينة!

كنت قد وصلت إلى بداية شارعنا.. وهو ما بدا لي محببًا بعد هذا اليوم المُرهِق.. غير أني إذ أنظر إلى العمارة الجديدة التي تُبنى على الناصية رأيت تجمهرًا للمارّة ذوي العيون الخاشعة، سمعت صيحات إيمان، وترتيلات خافتة.. اخترقت بينهم وثمة رائحة رهيبة بأنفي.. رائحة كرائحة الشوارع يوم عيد الأضحية.... كان أحدهم ملقىً على الرصيف، وقد دثّروه ببعض أوراق الجرائد... لا تكفي لتستره.

يد على فمي، والأخرى على قلبي، وركضًا للبيت... صعدتُ مهرولة، ألهث، ألهث، أعبُّ الهواء.. فتحت الشرفة هالتني الملابس السوداء المرتصة على حبال جارتنا ، اخترق أذني الصراخ... وصّدت النافذة بإحكام، جريت على أمي، وحدها من سيخبرني كيف صار العالم بهذا الجنون..

- أمي! أمي! ما الذي يحدث؟ لماذا يصرخون؟

كانت ترتدي عباءتها السوداء، وتمسح أنفها الأحمر، انتظرت دقائق قبل أن تقول:
- لقد توفى زوج جارتنا، أنا ذاهبة للعزاء وعليكِ أن تأتي معي

إن هذه الأحداث لقريبة من ذاكرتي، أشعر أني رأيتها سابقًا، قرأتها سابقًا.. جريت على غرفتي، أخرجت ديوان (دنقل)، فررت الصفحات إلى قصيدة أعرفها جيدًا، مررت على السطور:

"من شرفتي كنت أراها في صباح العطلة الهاديء
تنشر في شرفتها على خيوط النور والغناء
ثياب طفليها، ثياب زوجها الرسمية الصفراء

قمصانه المغسولة البيضاء
تنشر حولها نقاء قلبها الهانيء
وهي تروح وتجيء
والآن بعد أشهر الصيف الرديء
رأيتها.. ذابلة العينين والأعضاء
تنشر في شرفتها على حبال الصمت والبكاء
ثيابها السوداء!"[3]

كم رهيب! فررت الصفحات بسرعة بحثًا عن قصيدة أخرى:

"وجه..
من أقاصي الجنوب أتى، عاملاً
للبناء
كان يصعد "سقّالةً" ويغنّي لهذا الفضاء
كنت أجلس خارج مقهى قريب،
وبالأعين الشاردة..
كنت أقرأ نصف الصحيفة،
والنصف أخفي به وسخ المائدة
لم أجد غير عينين لا تبصران

[3] الموت في لوحات، ديوان البكاء بين يدي زرقاء اليمامة.

وخيط الدماء
وانحنيت عليه.. أجس يده
قال آخر: لا فائدة
صار نصف الصحيفة كل الغطاء
وأنا في العراء"[4]

ما الذي يحدث؟ هل يمكن أن تتحقق قصائده؟ إن بدواوينه قدر من الموت والدمار لو حل بالعالم لهو عين الخراب.. ثم تذكرت أين قرأت المشهد الأول:

"جوارب السيدة المرتخية
ظلت تثير السخرية
وهي تسير في الطريق
وحين شدّتها: تمزقت
فانفجر الضحك، وورات وجهها مستخذية
وهكذا أسقطها الصائد في شِباك سيارته المفتوحة
فارتبكت وهي تسوّي شعرها الطليق
وأشرقت بالبسمات الباكية!"[5]

[4] الورقة الأخيرة: الجنوبي، ديوان أوراق الغرفة8.
[5] الحزن لا يعرف القراءة، ديوان البكاء بين يدي زرقاء اليمامة.

كيف يستجيب البشر لخطوات (دنقل) المرسومة منذ أكثر من ربع قرن؟ كيف يضحون بحياتهم بهذه البساطة ليصيرون بعضًا من قصائده... أم أنهم لا يملكون الخيار!

ولماذا الآن؟
ولماذا في محيط إقامتي بالذات؟
كم واحد بالكون تحوّل إلى شخصية من شخصيات القصائد، وكم واحد بعد على القائمة...

أم... كان (دنقل) يجيد النبوءة؟
هو عُرف بـ شاعر النبوءة لكثر ما استخدمها كرمز في قصائده... فهل كان حقًا متنبئًا؟

وما شأني أنا بكل هذا؟
أنا لم أتمنَ شيئًا...
ما كنتُ لأتمنى هذا الجنون!!

~.~.~

5

اليوم التالي لليوم التالي للأمنية

فتحتُ عيني
إن الضوء الذي يتسلل من النافذة لفراشك الدافيء لمزعج!

ها هو الصّباح
الصباح الذي يذيب كلام الليل المدهون بالزبد.. الشارع متسربل بالحزن، ودم الموتى لم يبرد.... فسلِّم يارب.. لا مزيد من الموتى، أتوسل.

فتحت النافذة بيد، وبالأخرى أداري عينيّ تحسبًا للأسوأ.. ثم فرجت أصابعي قليلاً، ثم رفعت يدي: حمدًا لله، لا شيء. الشارع هادئ، ويكاد يخلو من المارّة.. لكني إذ أرفع بصري وجدت جارتنا في الملابس السوداء واقفة تنظر لي بثبات.. أجفلت.. متى ظهرت وكيف لم أشعر بها..

حاولت الابتسام:
- صباح الخير

ما تبدل شيء في وقفتها، رفعت صوتي قليلاً:
- تقبّلي تعازيّ..

وفجأة وجدتها وقد انطبعت أقسى علامات الألم على وجهها، ونظرت لي نظرة أرجفت قلبي وقالت:
- لماذا لم تأتِ إليّ لتعزّيني؟

ذعرت وفاض الارتباك على صوتي:
- اعذريني، كنت متعبة... سأزورك اليوم بعد الجامعة

ثم أغلقتُ النافذة بسرعة وانسحبتُ.. خرجت من غرفتي، كانت أمي بالمطبخ تعد الشطائر، ألقيت عليها التحية:
- صباح الخير يا أمي!

والتقطت زجاجة مياة وجرعت منها، ثم أغلقتها وأعدتها، والتفت مغادرة حين سمعت صوت أمي:
- صباح النور يا (ليلى)!

مع تقدم عمرها تتأخر استجاباتها قليلاً.. لا بأس.. ارتديت ملابسي وأعددت حقيبتي وضمنتها ديوان (دنقل)، فما يبدو لي أنه البطل في هذه الأحداث.. ثم ألقيت السلام وغادرت..

أحتاج أن ألقى صديقتيّ كي لا أُجن.. أحتاج المشورة وأن نفكر معًا بصوت مرتفع، هكذا ذهبت مبكرًا ساعة ـ كعادتنا وليس للصدفة كما أوهمتك. ورحت أخطو خطوات متسعة وأتنفس ملء رئتيّ.. حتى وصلتُ إلى ناصية الشارع حيث البناية الجديدة: غريب ألا ينقلوا جثة العامل للآن! وحتى لا يغطّونه بأكثر من نصف الجريدة... سأقف دقيقة حداد.. زفرت زفرة طويلة.. سكّنت أعضائي، وأرخيت نظري عليه: فلتعتبري يا نفس!

وقعت عيني على عنوان خبر بالجريدة: "**يا شوارع القاهرة... مات (أمل دنقل)**"!

جرت عيني بحثًا عن التاريخ بالصفحة، ملت برأسي يمينًا فيسارًا حتى أتمكن من القراءة على الجسد المسجى، صعقني التاريخ: "21 مايو 1983".. وانتفض جسدي على صوت صافرة الرسائل، أخرجت الهاتف سريعًا وقرأت:
"اذكريني!

فقد لوّثتني العناوين في الصحف الخائنة"[6]

كان جدير بي أن أرتجف، أن أنفعل، أن أبكي، أهذي.. لكني حُرمت هؤلاء إذ استحوذ المشهد على حواسي جميعًا: الجريدة تنزاح ببطء عن القتيل، وبصعوبة يحاول الوقوف...

صرخت صرخة مريعة انبحّ لها صوتي، وجريت جريت ومن خلفي أسمع صوت حذائه يطرق الأرض بخفّة طرقات قصيرة سريعة متتالية، ولا أحد بالشارع أستنجد به، خطواته تقترب وقد أرهقني الجري.. أريد سيارة، حافلة، مترو يقلني... أريد أي شيء ولا أجد غيره!

التفت أنظر إليه بينما أجري، كان لازال يتبعني، صرخت وارتددت على نفسي حين اصطدمت بأحدهم.. كانت سيدة وقورة وقد هالها أن تراني بهذا الشكل:

- ما لكِ يا بنتي؟

صرخت بوجهها صرخت وتابعت ركضي، لقد كانت سيدة الجوارب المرتخية.. لا أعرف ماذا أفعل، سيكون من الجنون أن أقفز في حافلة لأجد أن كل ركّابها: منهم ، وسيكون من الإجحاف أن أسقط الآن من الإعياء فينالوا مني... ويبدو أنني ظللت أستبعد الخيارات وأنا أركض حتى وصلت إلى الجامعة، فلم أعد أحتاج إلى الخيارات.

دلفت من البوابة رأسًا إلى الكافيتيريا بحثًا عن صديقتيّ، وصلتُ إليها فأمسكت الباب، والتقطت أنفاسي بصعوبة، ثم التفت أبحث عن القتيل: وجدت أنه قد تبعني إلى داخل الجامعة، أغلقتُ الباب الزجاجي محتمية به، ورحتُ أنظر إليه فوجدته يجلس على الأريكة المقابلة لباب الكافيتيريا، ثم يخرج الجريدة من تحت إبطه ويتسلى بقراءتها.. تُرى لماذا اكتفى بانتظاري ولم يتبعني إلى الداخل؟

[6] أغنية الكعكة الحجرية، ديوان العهد الآتي.

جاءني النادل مستغربًا:
- ما لكِ يا آنسة (ليلى).. لماذا تلهثين هكذا؟ وإلامَ تنظرين؟
- لا شيء يا (سيد)... أين (عصمت) و (مشيرة)؟
- للتو غادرا..
- ياه!

نظرت في ساعتي فوجدتُ أني تأخرتُ ساعة، هكذا لابد أنها ذهبتا للمدرّج.. لكن كيف يمكنني العبور لهما بينما القتيل منتظر بالخارج؟

همّ (سيد) ليفتح باب الكافيتيريا لكنني استندتُ إليه بظهري، ورحت أولول في هيستيريا:
- لا يا (سيد).. أرجوك....

وبدأت في البكاء، وأنا أختلس النظر للقتيل الذي لازال يقرأ.. وأردد لـ (سيد) أن هذا الرجل ميت ويتبعني، في حين يحاول هو إثنائي وزحزحتي عن الباب، كان مُحرجًا ما فعلت لكن من حسن الطالع أنه لا يوجد من يعرفني هنا.. كنت أشعر أني حبيسة وغريبة، ولا أدري إلى متى قد يتحملني (سيد) وصاحب الكافيتيريا، ولا ماذا ستكون الخطوة القادمة.. وذلك حين سمعت:
- دعها يا (سيد).. أنا سأعني بها

كان صوتًا أعرفه، التفتُّ في سعادة متلهفة لرؤيته، كان فتى القصيدة الذي قابلناه أمس، والذي بدا لي في هذه اللحظة من الوحدة والخطر والمطاردة أنني قابلته من ألف عام، وكم بذلت من مجهود كي لا أرتمي بحضنه. قال:
- اهدئي.. لا تخافي..

ثم أمسك بذراعي يقتادني إلى طاولة.. طلب لي عصير ليمون وسألني:
- ما الذي حدث؟

حكيت له كل الأحداث المريعة التي مرت بي، وكل شكوكي حول قصائد (دنقل)، فقال:

- (دنقل) شاعرٍ هام، أنا أحفظ كل قصائده..
- أرجوك لا تحدّثني عنه، إني بتُّ أكرهه بعد كل هذه الأحداث التي أمر بها بسببه.
- أوه! هذا مُحزن!

ثم تذكر شيئًا فقال:

- أمس، قبل أن تغادري ناديتك: "انتظري.. ما اسمك؟" لكنكِ لم تجيبي
- أنا آسفة جدًا، كان عندنا محاضرة و..... على أي حال، اسمي...

قاطعني:

- دون أن أعرفه، كتبتُ لكِ القصيدة.. أتحبين أن تسمعيها؟
- نعم، بالتأكيد، أتوق لأن أفعل

انطلق يقول:

- "انتظري

ما اسمك؟

يا ذات العيون الخضر والشعر الثري

أشبهتِ في تصوري

بوجهكِ المدوّرِ

حبيبة أذكرها أَكثر من تذكّري!"

استوقفته:

- هذا رائع جدًا فقط هناك ملاحظتين.. أولاً: أنا عيوني بنيّة وليست خضراء، لذلك من الصعب أن نقول أن هذه القصيدة عنّي. وثانيًا:

ثم أخرجت (الأعمال الكاملة) لـ (دنقل) من حقيبتي.. وبحثت عن إحدى القصائد، ثم أشرت إليها بإصبعي وأضفت: وثانيًا هذه القصيدة اسمها (شبيهتها) وهي من ديوان (مقتل القمر) لـ (أمل دنقل)، ولذلك من الصعب أن نقول أنها لك.

تعلقت عينه بالكتاب والتقطه يطالعه بنهم، وهو يردد بانبهار:
- الأعمال الكاملة!!؟

كنتُ أعرف أنه ليس من اللياقة أن أقول ما قلت، لكن يجب أن يعرف أيضًا أنه ليس من الأدب أن يسطو على قصائد (دنقل)، وليس من المهارة أن يغشني! وبالإضافة لهذا فإنه ليس من الذكاء أن يختار قصيدة عن فتاة لا تشبهني!

لكني وجدته يقول:
- عزيزتي.. أنا لم أسرق!

آه... ها هو ينكر!

- أنا لم أسرق من (أمل دنقل)، لأني ـ ببساطة ـ (أمل دنقل).

~

"التحيّاتُ:
(مساء الموت يا قلبي)
فلا تلقِ التحية!

- من تُرى مات؟
- أنا.
- أنت؟
- أجل."[7]

~

[7] العشاء الأخير، ديوان البكاء بين يدي زرقاء اليمامة.

6
لازلنا في اليوم التالي لليوم التالي للأمنية

لم أحاول أن أبدي أي انفعال، أو آتي بحركة مفاجئة، فقط انتقلتُ بعيني إلى القتيل خارج الكافيتيريا.. كان الآن ممددًا على الأريكة متدثرًا بالجريدة ويبدو أنه قد ملّ الانتظار.. وازنتُ بين الخطرين، ثم قمتُ سريعًا وانطلقتُ عابرة الفتى والقتيل إلى الكلية.. لا أعرف أي المحاضرات عندنا اليوم لكن يجب أن تكون واحدة من الطراز الذي يسمح محاضروه بالدخول في المنتصف.. يجب! يجب!

دلفتُ وجلستُ جوار (عصمت) و (مشيرة) دون كلمة.. صاحت (مشيرة):

- أين كنتِ؟ ولماذا تأخرتِ؟
- فيما بعد! فيما بعد!

قالت (عصمت):

- حسنًا يا ستّي فيما بعد، لكن على الأقل دعي هاتفك مفتوح لنطمئن عليكِ
- هو مفتوح
- لكننا نطلبك فيقولون أنه خارج نطاق الخدمة ؟
- كيف هذا؟ صباحًا فقط تلقيتُ رسالة

ثم ضحكتُ في سخرية:

- علّ شبكتي لا تلتقط إلاّ إشارات العالم الآخر.
- يبدو أن رسالة أمس تؤثر عليكِ
- لا عليكِ.. لا عليكِ

هنا أدارت (عصمت) وجهي بكفها، ونظرت في عينيّ بعمق:
- ما أجمل هذا اللون! إن العدسات الخضراء تليق عليكِ كثيرًا

نظرتُ في ذهول... وصوت (مشيرة) في أذني:
- أرني يا (ليلى)! أرني يا (ليلى)!

سقطت الدمعة من عيني الخضراء.

~

بعد المحاضرة، جلستُ في بكائي:
- لا أعرف ماذا أفعل.. جدا لي حلاً.. أنا لم أتمنَ شيئًا، بل أنتِ يا (عصمت)!
- إن ما تقولينه لأغرب من الخيال يا (ليلى).... لم أكن أتصور لحظة أن تُستجاب الأمنية حرفيًا!
- وها قد حدث! ها قد حدث!

حوطتني (مشيرة) بذراعها:
- اهدئي يا (ليلى).. اهدئي

هبّت (عصمت) واقفة:
- أنا سأذهب إليه ولئن لم ألقنه درسًا فلأُقتل أو أُشنق!

قالت (مشيرة) في سخرية:
- ما الذي ستفعلينه يعني؟ ستقتليه؟

ثم أمسكت بمعصمها تجذبها للمقعد:
- أخبركِ شيئًا؟ إنه ميت سلفًا!

جلست (عصمت) في يأس، قلتُ لهما:
- يجب أن أجلس معه..
- ماذا تقولين يا (ليلى)؟
- يجب أن أتحدث معه لأعرف ماذا يريد.. لنأمل أنه لا يزال في الكافيتيريا..

انتقلنا إلى هناك، وطلبت منهما أن يجلسا إلى مائدة بالقرب، ويتركاني أحدثه وحدي، حتى لا يتسبب انفعال (عصمت) في مشاكل أكثر. كان منكبًا على كتابة شيء ما، وبش وجهه حين رآني:
- مرحبًا يا ذات العيون الخضر! كنتُ أعرف أنكِ ستعودين.
- ما الذي تريده بالضبط؟
- أريد عينيكِ
- أي جنون!

"أي جنون!!".. قلتها في نفسي إذ أقوم وأستدير، لكنه أمسك بمعصمي بلطف:
- فقط انتظري..

وأشار إلى (عصمت) وقال:
- لقد سألتني صديقتك هذا السؤال من قبل، وقلتُ لها أن كل ما أريد أن أكتب قصيدة فيكِ
- وقد فعلت..
- نعم، وقرأتها عليكِ أيضًا..

ثم استدرك ملوّحًا بإصبعه:

- وبكاااامل إرادتك الحرّة...
- وما الذي يعنيه هذا؟
- يعني أنكِ صرتِ لي..
- أي هذيان تهذيه!
- أنا لا أهذي ولا أريد شيئًا! أنتِ من بحث عني وجاءني هنا وليس أنا! وأنتِ من دعاني من رقادي وعالمي إلى عالمك، وليس أنا! أنا لا أريد شيئًا... يمكنك أن تذهبي الآن للبيت وتمارسي حياتك بشكل طبيعي
- لكن حياتي تبدلت منذ رأيتك، شخصيات قصائدك تطاردني والموت في كل صوب. في الصباح كانت عينيّ في المرآة بنية، والآن خضراء.. فأي لعنة تسببت فيها قصيدتك؟ إنني أتحول لواحدة منهم!!

ثم بدأت في البكاء:
- إنني أتعذب وأنت تقول أنك تفعل كل هذا دون سبب.. على الأقل اجعل لعذابي معنىً وقل لي ماذا تريد؟

همّ ليقول شيئًا... بسط كفيه وضمهما على لا شيء، وأخيرًا قال:
- أريد أن أخلّدك!

الكل يبحث عن الخلود ولا أحد يناله سوى أبطال الخيال!
(كليب) مات لكن وصاياه التي خططتُها خالدة
(سبارتاكوس) مات لكن كلماته التي نظمتُها خالدة
عيون محبوبتي خالدة
شعرها
نهدها
أنا متٌّ، لكن قصائدي خالدة!
أنا أحببتك، منذ وصلتني دعوتك في رقادي العميق في السماء، في شمال الشمال.. كم عام مرّ ولمّا يذكرني أحد... لا أمسية أقيمها، لا معجبة أوقّع أوتوجرافها، ولا مُلهمة تلهمني حرقًا... وقد بدأت أظنُ أنني مت!
- أنت ميت بالفعل.

- لا! لم تسمح لي دعوتك بهذا الشرف.. أنا معلّق بين الموت والحياة، وإذا كان عليّ أن أبقى في الأرض فلأصنع مملكتي من الخالدين، من أحرفي، من خيالي، من عذاباتي، من كل من جُرحت بهم حتى نزفتُ قصائدي..
أردتُ مملكة لي في الأرض، أكون مليكها، ولأني أحببتك، أردتكِ أنتِ ملكيتها، تاجها: محبوبة (أمل دنقل)! فهل أخطأت؟
- أنت دمّرت حياتي.. أمي ما ذنبها، إخوتي، أولادي الذين لم أنجبهم، حياتي التي لم أعشها....
- أعرف يا صغيرة أنكِ مستاءة الآن، لكنها ساعات... ساعات بعد سماعك القصيدة حتى يكتمل تحولكِ إلى فتاة قصائدي الخالدة، وحينها ستنعمين بالسعادة والرضا... ككل من يطاردونك... كلهم تخلصوا من بؤس حياتهم، كلهم سعداء! وأنتِ ستكونين الأسعد.. لأنك لستِ فقط شخصية من قصائد (أمل دنقل)، بل محبوبته أيضًا...
وحينها ستدعيني أحصل على عينيكِ راضية كما سمعتي قصيدتي راضية... وسنهجر هذا العالم القاسي لنعيش أسعد شبحين في المقابر! فعديني يا صغيرة.. عديني أن تمنحيني عينيك...

هببت واقفة:
- أعدك أني سأجعلك تندم على كل حرف!

غادرت، تتبعني (مشيرة) و(عصمت) يهتفان:
- ماذا قال لكِ؟
- ماذا فعل بكِ؟

وأنا... منشغلة عنهما، أحصي المدعوّين، أعدّ المقاعد داخلي، وأوزّع القهوة السادة.. ألطم بلا يد.. وأندب بلا فم:

يا ويلكِ يا (ليلى)!
يا وجعكِ يا (ليلى)!
قتلوكِ يا صغيرة
ذبحوكِ يا حبيبة
خسفوا بكِ حيّة!

أنا..
أنا!
لم يجدوا غيري أنا!!

~
"أنا الذي ما ذقتُ لحم الضان
أنا الذي لا حول لي أو شان
أنا الذي أُقصيتُ عن مجالس الفتيان
أُدعى إلى الموتِ، ولم أُدعَ إلى المجالسة!"[8]
~

قالت (عصمت):
- صهِ! لا تندبي مثل النساء! سنذهب الآن حالاً للمزار... ونجد العجوز.
~.~.~

[8] البكاء بين يدي زرقاء اليمامة، ديوان البكاء بين يدي زرقاء اليمامة.

7
بعدنا في اليوم التالي لليوم التالي للأمنية

~
"ها نحن يا أيلول
لم ندرك الطعنة
فحلّت اللعنة
في جيلنا المخبول"[9]
~

بحثنا عنه في كل مكان... نادينا وأرهفنا السمع للصدى، تيِعنا أنوفنا.. لكننا لم نجده! وفي اللحظة التي كففنا فيها عن البحث ظهر على باب مخدع: منتصب القامة لا انحناء، مفتوح العينين لا انغلاق، ولا عكّاز، ولا عَجَز.. ولا شيء!

لم أعرفه إلاّ حين التقط عصّاه، ردّ الباب، انحنى، أغمض عينيه، بسط يده وقال:
- لله.. امنحوني شيئًا لله!

جرينا عليه:
- يا عم! نحن التقيناك سابقًا ومنحتنا عملة، أتذكرنا؟

فتح إحدى عينيه وتفحّصنا، ثم أزاحنا بيده وقال:

---

[9] أيلول، ديوان البكاء بين يدي زرقاء اليمامة.

- لا!

تابع مسيره، فتبعتُه:
- بل التقينا، تذكّر جيدًا.. نحن خلّصناك من يد الفتيات، ومنحناك مالاً، وأنت منحتنا عملة للتمني..

وكأنه لم يسمعني:
- لله يا محسنين... لله

قلتُ على أمل:
- أنا أريد منك عملة أخرى لإصلاح ما أفسدته الأمنية السابقة، وسأعطيك كل ما تريد.. أي مبلغ مهما كان!

مد صوته في مسكنة:
- للّـــــه!

أخرجتُ من حقيبتي كل ما كنتُ أملك من مال، ووضعته في يده، فما طوى يدًا عليه وتركه يسقط، واهتزت رأسه يمينًا ويسارًا في تصوّف:
- لله! لله! لله! لله!

أمسكت (عصمت) بياقة جلبابه وقرّبته إلى رأسها:
- أنا سأعطيك شيئًا لله... سأعطيك لكمة لن تنساها ما حييت

حلتُ بينها وبينه:
- انتظري فقط أرجوكِ.. علّه يمنحنا العملة..

ثم التفت إليه أقول:
- يا سيدي نحن أحسننا إليك.. وأنت أسأت إلينا، فهل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟

ارتسمت على شفاهه بسمة مهتزة، وقال:
- أنتن تردن العملة، لكن هل فكرتن أن الأمنية إذا توقفت ستتوقف عنكن جميعًا؟

قالت (عصمت) بنفاذ صبر:
- لا شأن لك بما ليس لك به شأن! فقط هات العملة!

نظر إلى (عصمت) بعمق وقال:
- هل تضحين بملاقاة حبك، بعدما لم تبقَ سوى خطوة على ملاقاته؟

والتفتَ إلى (مشيرة):
- هل تخسرين حبيبك، الذي بعد ساعة واحدة سيبدي إعجابه بكِ ويطلبكِ للزواج؟

نظرت (مشيرة) للأرض، قالت (عصمت) جازّة على أسنانها:
- كيف عرفت أمنيتنا؟
- إنها أشياء بديهية.. كل الفتيات يتمنين الزوج يا (عصمت)؟

قالت (عصمت) حاكّة يديها ببعضهما ببطء:
- وكيف عرفت اسمي؟

قال الرجل في انفعال:
- أنتِ تسألين أسئلة غبية! كيف تسألينني (أنا) كيف عرفت ؟!

ثم تضخم صوته ليهز المكان:
أنا!
لا أُسأل كيف عرفت!

قالت (مشيرة) بصوت راجف:
- ومن أنت؟

وفي لحظة وجدتُ ديوان (أمل دنقل) الذي كان في حقيبتي في يديه، مفتوح على الصفحة المُختارة، ويقرأ من أول السطر:
- "المجد للشيطان معبود الرياح!
من قال: لا، في وجه من قالوا: نعم
من علّم الإنسان تمزيق العدم
من قال: لا، فلم يمت
وظل روحًا أبدية الألم!"[10]

وقفنا كأن على رؤوسنا الطير، ينقر منها، قطعة بقطعة.... قال يكمل محاضرته:
- لماذا يا إنسان؟ لماذا تطع الشيطان حين يشجّعك على التمنّي الذي يُفسِدك؟ لماذا لا تطيع ربّك حين يقول: "عندك ما يكفيك، وأنت تطلب ما يُطغيك"[11].. ألا تقولون هذا؟ ألم تحفظونه بعد من خلف الواعظين؟

[10] كلمات سبارتاكوس الأخيرة، ديوان البكاء بين يدي زرقاء اليمامة.
[11] يقول الله تعالى في الحديث القدسي: "ابن آدم، عندك ما يكفيك، وأنت تطلب ما يُطغيك.. لا بقليل تقنع، ولا من كثير تشبع.. إذا أصبحت معافىً فى جسدك، آمنًا فى سربك، عندك قوت يومك، فعلى الدنيا العفاء."

ثم استدار في وهن، وردد:

- يااللإنسان! ياله!

وهو يبتعد: خطوة، بخطوة...

~

"وتعرفُ أنت..
ماذا يفعل المغلوب مثلي
حين يوليه العدو الظهر
وفي كفّي بقايا سهم!"[12]

~

شعرتُ بكل الحقد داخلي يثور، لتكن الشيطان أو لتكن من تكون! وجريتُ وراءة بأقصى سرعة ثم انقضضت عليه أوسعه بقبضتي وهو ينحني ويرفع يديه متحاشيًا، وتبعتني (عصمت) و(مشيرة) تضرب كلاً منا ما استطاعت منه، وكان ذلك حين تدخلت فتاة طولاً وعرضًا دفعت كل منا إلى جانب بخبطة من ذراعها، وقالت في غلظة:

- أقسم أنكن لو لمستن شعرة من هذا المسكين لأقطعكن قطعًا! لم تعد بالقلوب رحمة!

ومن خلفها جاء ضابط الأمن متسائلاً:

- ما الذي يحدث هنا؟

بادره العجوز بوهن:

---

[12] قلبي والعيون الخضر، ديوان مقتل القمر.

- لا شيء! لا شيء!

قال الضابط:
- إذًا لا تجمهر! وليذهب كلٌّ إلى حال سبيله!

~

"قد حلّت اللعنة
في جيلنا المخبول
فنحن يا أيلول
لم ندرك الطعنة!"[13]

~

[13] أيلول، ديوان البكاء بين يدي زرقاء اليمامة.

8
اليوم التالي لليوم التالي لليوم التالي للأمنية

فتحتُ عيني
إن الضوء الذي يتسلل من النافذة لفراشك الصخريّ لمُحبب!

دعك من أني نمت تعِسه..
ولكنه الصباح الذي ينعتونه بالنقاء
الصباح الذي ينتظرونه دائمًا... في الليالي السوداء الطويلة
الصباح الذي يؤجلون أحاديثهم الشائكة إليه موقنين بأنه رباح

ماذا بالكون أروع من أن أكون معشوقة (أمل دنقل).. (أمل دنقل)؟!! هاهاها... لازال شيء بداخلي غير مُصدّق.. لكم محظوظة يا فتاة!

تطلعت إلى المرآة... إن العيون الخضراء لتتوهج في وجهي.. الأخضر لون الخير.. لون البساتين، لون العَلَم الذي يحمل الشهادة... إشارة العبور خضراء، الدولارات خضراء، اتصال الأصدقاء على الماسنجر أخضر.. وأنا عيوني خضراء!

أنا عيوني خضراء وأنت لا!

فتحت النافذة على اتساعها، طالعتني جارتنا المتسربلة بالسواد... كانت مبتسمة للفراغ، واتسعت الابتسامة على فيها حين رأتني:
- صباح الخير يا رفيقة!

بادلتها الابتسام، والتحية... إنها طراز الجارات البشوش الذي تحبه فور أن تراه... ذهبتُ إلى المطبخ، قلتُ بطرف فمي:

- صباح الخير!

أعرف أنها لن تجيبني حتى أستدير مغادرة... لقد ضجرت بهذه الطريقة التي تعاملني بها! وإنني لم أعد حقًا راغبة في الحياة مع من يتجاهلونني!

استعددتُ ونزلت سريعًا لألحق موعدي الصباحي المعتاد قبل المحاضرة بساعة.. وفور وصولي الجامعة دلفتُ إلى الكافيتيريا.. لمحتُ تلك السمجة ذات الاسم الذكوري (عصمت)، وصديقتها الخليعة التي تُدعى (مشيرة) يلوّحان لي، أدرت وجهي عنهما وذهبتُ رأسًا إلى مائدة (أمل).

جاءاني مستنكرتان:

- (ليلى)!

زفرت واستدرت لهما:

- أفندم؟

قالت (عصمت):

- ما الأمر.. ألا ترينا؟
- لا! لم يحدث لي الشرف.. هل تسمحان أن تتركاني أتحدث قليلاً إلى خطيبي؟

جذبت (مشيرة) ذراع (عصمت) لتميل قليلاً وقالت بصوت منخفض:

- هل سمعتِ لفظة خطيبي ؟
- إنها تبدلت تمامًا، إنه يستولي عليها

بدأت (مشيرة) في البكاء، فجذبتها (عصمت) وجلستا في الركن يراقبانا في اهتمام..

المخبولتان!!

ألقى عليّ (أمل) قصيدة جديدة تحمل المزيد من الإعجاب بعيني الخضراوتين، ثم قال:
- سأقيم الليلة أمسية شعرية صغيرة في المقابر، ومن الضروري جدًا أن تحضر المليكة حفل التتويج
- وماذا تعني بحفل التتويج؟
- بعدَ أن أُلقي قصيدتي يا صغيرة، سنقوم ببعض الطقوس التي تُتمِم تخليدنا.. يمكنكِ أن تسمها طقوس ولاء.. أعرف من خلالها مَن مِن شخصيات خيالي يستحق الخلود ومن لا، وبعد الحفل، سيكون لنا أن نحيا معًا إلى الأبد، أنا وأنت وأسرتنا الصغيرة من الخالدين.. دون أن يرانا البشر البائسين التعساء أو نشغل أنفسنا بهم.

لكم رائع أن أحصل على موعد غرامي كما حصلت الفتاتان.. فإن أحدًا ليس أفضل من أحد.. ولكن لأن الحقد يملأ قلبيهما فقد هبّت (عصمت) قائلة:
- أنا لا يمكن أن أسمح لكِ بالذهاب إلى هذه الأمسية

هنا وجدتُ أن سخفها قد فاق الحد:
- لتعلمي أنه لا شأن لك، ولئن لم أوقفنّك عند حدّك يا (عصمت) فلأُقتل أو أُشنق!

~

قضيتُ اليوم مع (أمل).. نتبادل الأحاديث والذكريات.. وقد حكى لي عن لقائه بزرقاء اليمامة، وعن يوم قُتِل القمر، والرخ الذي حمل جثة ديسمبر والكثير والكثير.... حدّثني عن حلمه الذي لم يكتمل باستكمال انتقام الأمير (سالم الزير) لأخيه (كليب).. حيث لم يسعفه العمر..

كان بسيطًا ومُجاملاً وآسرًا بحديثه العذب... وفي المساء، تحركنا معًا إلى الأمسية.. جلستُ في الصف الأول وقد صعد المنصة.. للحظة شعرتُ بالغربة قبل أن أجد وجوهًا أعرفها.. جارتنا، وسيدة الجورب المرتخي، وعامل البناء.. وكثيرون كثيرون سعداء مبتسمين متآلفين كأسرة.

وقد مدّ إليّ أحدهم يده للمصافحة فأجفلتُ.. كان ضامر العنق بارز العينين مبتسم:

- مرحبًا!

صافحته بوجل:

- مرحبًا!

أضاف منحنيًا:

- أُعرِّفُكِ بنفسي:

"مُعلّقٌ أنا على مشانق الصباح
وجبهتي، بالموتِ محنيّة
لأنني.. لم أحنها حيّة!"[14]

صحت على الفور:

- (سبارتاكوس)! أهلاً أهلاً!

دقّ (أمل) بيده على الطاولة معلنًا:

- صمتًا! سنبدأ!

[14] كلمات سبارتاكوس الأخيرة، ديوان البكاء بين يدي زرقاء اليمامة.

خيّم السكون على المكان، مال إليّ (سبارتاكوس) قائلاً:

- إنهم يطيعونه كظله، ويخشونه كالموت

أدرِكتُ الآن لماذا لم يتبعني عامل البناء لداخل الكافيتيريا حين كان يطاردني.. كان يهاب سيده. انفتح ستار مسرح صغير مُلحَق بالمنصّة عن جثّة رجل مغروس الرمح في الظهر إلى المنتصف.. يزحف إلى بلاطة قريبة، ويغرس إصبعه في الدم ويكتب.. لاشك أن هذا (كليب) يكتب وصاياه العشر إلى أخيه (سالم الزير).. الوصايا التي تُفتَتَح وتُختَتَم بـ (لا تُصالح)!

صاح (دنقل):

"لا تُصالح!

ولو منحوك الذهب

أتُرى حين أفقأ عينيك،

ثم أثبِّتُ جوهرتين مكانَهما..

هل ترى؟

هي أشياءٌ لا تُشتَرى!"[15]

وضجّت القاعة بالتصفيق... كنتُ مأخوذة بهذا الجو الساحر.. أن أرى بعيني (أمل دنقل) يلقي القصيدة التي قرأتها في فراشي مئات المرات أتخيّل أني أسمعها منه.. لكم ساحر! كان (أمل) يوصل المقطع بالمقطع وسط صيحات الاستحسان والتصفيق، وحتى صيحته الأخيرة: "لا تُصالح.. لا تُصالح".. لم أتمالك نفسي وقمتُ أصفّقُ ملء يديّ. وحين انتهى قال (دنقل):

- والآن سنبدأ حفل التتويج.

[15] لا تُصالح، ديوان أقوال جديدة عن حرب البسوس.

حبستُ أنفاسي.. ها قد جاءت اللحظة أخيرًا! أشار (دنقل) بإصبعه، فدخل صبية يحملون صوانٍ مرصوص عليها الآلاف من الجواهر، وقال:

- هذه الجواهر لكم، والخلود لكم..

فضجّت القاعة بالتصفيق، ولمّا هدأ التصفيق تابع (دنقل):

- وفي المقابل أريد منكم شيئًا صغيرًا لإثبات الولاء..

أريد: عيونكم!

صاح الجمع:

- من عيوننا يا (دنقل)! فداءك يا (دنقل)!

وتقدمتُ إليه ركضًا:

- ابدأ بي يا (دنقل)! ابدأ بي!

لكنه قال مترفقًا:

- بالدور يا صغيرة.. قفي في الصف!

ووسط أصوات الضجيج ارتفع صوت يصرخ:

- لاااا!

لا تقبلوا أن تمنحوه عيونكم ولو منحكم الجواهر

ألم يقل أنها أشياء لا تُشترى؟!

علت الأصوات:

- خائن!

- اقتلوه!
- اشنقوه!

كان هذا (سبارتاكوس).. لازال ثائرًا كما هو.. صاح:
- يا إخوتي ثوروا.. تعلّموا أن تقولوا: لا! تعلّموا أن ترفعوا رؤوسكم!

أشار (دنقل)، فأمسكوا به ورفعوه إلى المشنقة، وفي لحظة تدّلى جسده، وظل ينتفض حتى سكن.. هدأت أنفاسي لكني ما لبثت أن انتفضت بعنف إذ سمعتُ الصوت من الأعلى يردد:
- "فلترفعوا عيونكم إليّ
لربما.. إذا التقت عيونكم بالموت في عينيّ:
يبتسم الفناء داخلي.. لأنكم رفعتم رؤوسكم.. مرّة!"[16]

وقع في قلبي وواريتُ عيني.. إن العيون سيئة يا (أمل)... لا أريدها... خذها... مُتعَبة يا (أمل) من الحياة.. خذها أيضًا.. أسرع رجاءً.

وقد استجاب أخيرًا.. أجلسني (أمل) على مقعد، واقترب مني حاملاً المثقاب... أفكر أنني في اللحظة التالية لن أملك عينيّ الخضراوين.. أفكّر أنه لا بأس فهما أصلاً لستا عينيّ.. أفكّر أنني لن أرى الموجودات.. أفكّر أنه لا بأس طالما أنها بنفس القدر لن تراني! أفكّر أنه من غير الممكن أن أعرف إن كانت ستراني أم لا مادمتُ لن أراها وهي تراني.... أفكّر أنها تتلاشى من أمامي.. أفكّر أنها تفكّر أنني أتلاشى من أمامها...

(دنقل) هنا
صديقتيّ لستا هنا

[16] كلمات سبارتاكوس الأخيرة، ديوان البكاء بين يدي زرقاء اليمامة.

أنا: هنا.. أم لستُ هنا؟

وفي اللحظة التالية تلاشى كل شيء...

~

"وتلاشى به الظل شيئًا فشيئًا..
فلم أستبنه.
بعدها لم أجد صاحبَيَّ
لم يعد واحد منهما لي بشيّ
- هل تريد قليلاً من الصبر؟
- لا!
فالجنوبي يا سيدي يشتهي أن يكون الذي لم يكنه
يشتهي أن يلاقي اثنتين:
الحقيقة، والأوجه الغائبة."[17]

~

[17] الورقة الأخيرة: الجنوبي، ديوان أوراق الغرفة8.

9
اليوم التالي لانقضاء اللعنة

فتحتُ عيني..
إن الضوء الذي يتسلل من النافذة ليضيء فراشـي ـ الذي أبيت عليه كل ليلة ـ لمزعج..
لا ليس مزعجًا، بل مُحببًا
همم... هو ليس مُحببًا بالضبط... لكن لا بأس به..

نظرتُ في الموبايل أستطلع الساعة: يالبؤسـي هكذا ضاع عليّ اللقاء الصباحي في الكافيتيريا ولربما بـدأت المحاضـرة أيضًـا، المحاضرة من الطراز الذي لا يسمح بالدخول في منتصفه للأسف!

غادرتُ الفراش وثبًا، توجهتُ إلى المطبخ وتناولتُ قطعة من البيض الذي تُعّده أمي:
- صباح الخير، ماما!

جرعت المياه وغادرت ولمّا تردُ التحية بعد.. وبعد نصف ساعة كنتُ في الشارع.. إن الفتاة التي تجهز في نصف سـاعة لهـي بطلة حقيقية!

وانطلقتُ أتقافز إلى كلّيتي!.. روّعتني سيارة عابرة بسرعة كادتُ تعصفُ بي لولا أن انتبهـت فـي اللحظـة التاليـة، ولمّـا تأبـه السيارة أو تتوقف لحظة وإنما مضت في سرعتها أشيعها بلعناتي:
- ألا تُفتّح عينيك أيها الأعمى!

طابور طويل على تذاكر المترو وأنا لا أملك الوقت.. هكذا عبرتُ خلف إحداهن وقفزت إلى داخـل المتـرو فـي اللحظـة الأخيـرة قبل انغلاق الباب...

ومع وصولي الكلية، وضعت يدي على قلبي واستجمعتُ حماسي وفتحتُ باب المُدرّج ودخلت.. توقعت أن يوقفني الدكتور ويسخر مني أمام الزملاء ثم يطردني بحزم.. لكنه للعجب لم يفعل.. فقط تابع محاضرته.

أشارت لي (مشيرة):

- هاي! لماذا تأخرتِ؟
- صحوتُ متأخرًا.. كنتُ مندمجة في حلم عجيب!
- وأنا!

قالت (عصمت):

- وأنا!

سألتهما:

- وماذا فعلتما في موضوعيكما للجريدة؟

قالت (مشيرة):

- لا شيء! كلما اتصلت به لا يجيب

وقالت (عصمت):

- وأنا.. كلما طلبتُ رؤيته رفض!

وانتهت المحاضرة فانطلقنا إلى الكافيتيريا... رفعتُ يدي للنادل وقلتُ:

- الطلبات المعتادة لو سمحت يا (سيد)

لكنه لم ينتبه..

أعادت (عصمت) بصوت أعلى:
- طلباتنا المعتادة وحياتك يا (أبو السيد)

قلتُ لهما:
- لماذا لا يعيرنا أدنى اهتمام وكأننا لسنا هنا؟

ثم استدركت بذعر:
- وكأننا أشباحًا!!

~

"يا دقة الساعات
هل فاتنا ما فات
ونحن مازلنا
أشباح أمنيات
في مجلس الأمنية؟"[18]

~

انتفضت (مشيرة):

[18] بكائية الليل والظهيرة، ديوان البكاء بين يدي زرقاء اليمامة.

- ماذا؟؟

تابعتُ:
- إنه يبدو وكأنه لا يرانا.. ألا تلاحظان أنني دخلتُ المحاضرة في منتصفها دون أن يمنعني الدكتور أو يستوقفني أو ينتبه لي حتّى؟ نحن ظللنا نتحدث طوال المحاضرة ونضحك دون أن نُطرد أو يُلفت نظرنا.. إن أحد من الزملاء لم يعترض حتى أو يزمجر أو يتأفف!

قالت (عصمت):
- دعكِ من هذه التخاريف! إنها أشياء عادية!

استرجعت ساعات الصباح الأولى:
- لا يا (عصمت).. اليوم أيضًا كادت السيارة تدهسني كأن السائق لا يراني، ولم ترد أمي تحية الصبّاح
- إنها لا ترد دائمًا!

مدّت (مشيرة) يدها تتلمس ذراعي:
- ولكنني أشعر بكِ يا (ليلى).. أنتِ موجودة
- بل أنتِ شبح مثلي..

ثم بدأت في هز رأسي سلبًا وقد تذكّرتُ:
- لم يكن حلمًا، لقد أرادني (دنقل)، أنا أذكر اقترابه مني بالمثقاب قبل أن أغمض عيني.. لابد أنه فقأ عيني فتحولتُ إلى شبح، وأنتما تحولتما مثلي لأن اللعنة ثلاثية كما قال العجوز... لقد قال أن أي مصير أسود يصيب أحدنا سيصيب الآخرتان!

وأضفت:
- سأثبتُ لكما!

ثم هببت واقفة وصحت بأعلى صوت:
- يااااااا (سيد)! ياااااا (سيد)!

التفت كل من بالكافيتيريا لي، وجاء (سيد) مستنكرًا:
- ما الآمر يا آنسة (ليلى)! لماذا تصرخين هكذا؟

خفق قلبي بالسعادة:
- أنت تراني يا (سيد)؟

ثم مددتُ يدي:
- هل بإمكانك أن تلمس يدي؟

ثم تذكرتُ شيئًا:
- (سيد)، ما لون عيني؟

بدا الترّيب على وجهه:
- آنسة (ليلى)! أنتِ بخير؟
- نعم! نعم! بخير، طالما أنك تراني

جذبتني (عصمت) من معصمي لأسفل:
- هلا كففتِ عن الفضائح؟
- إنه يراني يا (عصمت) يراني
- اجلسي يا (ليلى).. اجلسي

جلست، وزفرتُ زفرة طويلة إذ أقول:

- الحمدلله.. نحن أحياء! الحمدلله.. كان حُلمًا..

قالت (عصمت):

- لم يكن حلمًا يا (ليلى).. كان خطرًا حقيقيًا كاد يودي بحياتك، لولا عناية الله... (دنقل) كان على وشك أن يفقأ عينك ويحولك إلى عالمه الشبحي..
- نعم.. أذكر هذا.. لكن لا أذكر شيئًا مما حدث بعدها...
- أنا سأحكي لكِ ما حدث يا ستّي.. ولئن لم تشيدين بعبقريتي فلأُقتل أو أُشنق!

نظرت (مشيرة) باستخفاف:

- لتقولي ما شئتِ يا (عصمت)، لكني أحمل لكما مفاجأة مُدهشة.. أخبركما شيئًا؟ أنتما مدهوشان مندهشان.

~.~.~

10

لازلنا في اليوم التالي لانقضاء اللعنة

خرجنا من الكافيتيريا التي صرنا موصومين فيها، وجلسنا في بهو الكلية. قالت (عصمت):

عندما عنفتِني آخر مرة لدى تحذيري لكِ من الذهاب مع (دنقل)، أيقنتُ من خطره عليكِ الذي يسلبك حتى الشعور بالخطر .. وقد أقسمتُ أني إن لم أساعد صديقتي فلأُقتل أو أُشنق... فكّرتُ أن أشري مسدسًا أو ساطورًا.. أو أن أستعين بالشرطة وأجلبهم إلى حيث الأمسية في المقابر... لكنني ببساطة أدركتُ أن هذا غير مجدٍ مع فريق من الأشباح.. وحين خطرت ببالي الفكرة.. طلبتُ من (مشيرة) أن تعود لمنزلها، وركضتُ ركضًا إلى المزار.

بحثتُ عن العجوز الذي بش لي حين رآني وصاح:

- آمل أن تكون الأمور عندكم على أسوأ ما يُرام!

قلتُ له:

- إن لك عندي صفقة! أنت تريد أن تفسد حياة الناس من خلال الأمنيات التي يتمنونها بذواتهم لذواتهم، لسابق علمك أن الإنسان يتمنى ما يُفسِده... أي أنك تترك الحبل للناس حتى يشنقوا به أنفسهم... أليس كذلك؟
- ثم ماذا؟
- وكأي صاحب رسالة فلا شك أن تريد العديد من الأتباع.. أخبرك، أني سأجلب لك ما شئت من الفتيات اللاتي يتمنين... على أن تمنحني عملة

صحتُ فيها:

- ياللكارثة! ياللمصيبة! هل بعتِ روحك للشيطان يا (عصمت)! هل بعتِ روحك للشيطان؟؟

قالت لي:

- صهِ أيتها العبيطة.. دعيني أكمل..

—

قال لي العجوز بشكل عملي:

- كم فتاة ستمنحيني؟ وما المدى الزمني لسريان العقد؟ وهل تقدّرين الشروط الجزائية؟
- هذه التفصيلات سنتفق عليها فيما بعد، امنحني العملة، ودعني أطمئن على صديقتي، وسأعود لك غدًا لنتفق على ما شئت..
- وكيف أضمن أنكِ ستعودين؟

حوطته بذراعي وقلت:

- عيب! أنت لا تعرفني بعد، إن لم تلتزم (عصمت) بكلامها فلتقتل أو تشنق.

أنزل يدي ونظر لي بتشكك، ثم أخرج ورقة من يده وقال: وقّعي هنا.

—

رحتُ أولول:

- يا ويلي! عقدت صفقة مع الشيطان! وقّعت بدمائها للشيطان!

—

تابعت (عصمت): وأخذت العملة، وإذ أقذف بها في البئر صحتُ بأعلى صوت:

- أريد الحياة كما كانت قبل أن نرى هذا العجوز، ولا أريد أن نراه ثانيةً!

ارتطمت العملة بالقاع.. والتمع الشرر بأعين العجوز إذ يغيب عن ناظري.

توقفتُ عن النحيب، ورفعتُ عيني إلى (عصمت)... صاحت (مشيرة):
- واااو! إن هذا الذكاء لمخيف يا (عصمت)

قلتُ لها أتأكد:
- هل تعنين أنكِ بهذه الأمنية مزجتِ بين وقف اللعنة السابقة، وعدم إمكانية رؤية العجوز ثانية لمطالبتك بتحقيق الصفقة؟

قالت (عصمت) في تواضع:
- ها قد فهمتِ أخيرًا.. عفوًا.. فليس كل الناس يتمتعون بالذكاء!

هنا جلجلت ضحكت (مشيرة)، قلت لها مستنكرة:
- يا سلام! هل أعجبتك سخريتها مني لهذا الحد؟

قالت بين ضحكاتها:
- بل أضحك عليها.. لقد عرّضَت نفسها لخطر رهيب دون أدنى داعٍ... وإن وقف اللعنة لأبسط من هذا بكثير.. أخبركما شيئًا؟ استعدا لهذه المفاجأة..

تابعت (مشيرة):

عندما تركتني (عصمت) أمس اتخذتُ طريقي للمنزل في حالة من الاضطراب والتوتر الذي يضعك على حافة الانهيار، ويجعل أحاسيسك رهيفة تجاه أحزان الآخرين التي تُذكّرك بأحزانك الخاصة.. هكذا عندما وجدت متسولة عجوز باسطة يدها، وضعتُ يدي في جيبي بحثًا عن أية نقود أمنحها لها.. ثم التقطت العملة ووضعتها في يدها..

هممتُ أن أتابع سيري حين استوقفتني العجوز:

- يا ابنتي!

استدرت، قالت:

- عيبٌ عليكِ أن تسخري من عجوز مثلي، خذي عملتك؟

نظرتُ إلى العملة في يدها المبسوطة، جحظت عيناي: لقد كانت هي ذاتها عملة الشيطان!

—

- عملة الشيطان!!؟
- عملة الشيطان!!؟

—

قالت (مشيرة): التقطتُ العملة، دققت فيها: هي هي!.. تحسستُ بيدي الجاكيت الجينز الذي كنت أرتديه: هو هو... ذات الجاكيت الذي ارتديته يوم الرحلة، واسترجعت المشهد حين كنتُ أمسك العملة بيد، وفي يدي الأخرى الجنيه المعدني الذي أخرجته في البداية للتمني، والذي امتنعت عن منحه للعجوز لضآلته وفضّلت أن أمنحه ورقة العشرة جنيهات.

لقد بقي في يدي، ومع السرعة والتلاحق الذي تم بهما الأمر، حيث اختطفت (عصمت) العملة من يدي ورمت بها بسرعة وتمنّت، وأسقطتُ أنا العملة الأخرى في جيبي ظانّة أنها الجنيه المعدني... لم تتوقع إحدانا أن ما رُمي لم يكن أكثر من الجنيه المعدني!

سألت نفسي: هل كنّا طوال الوقت نظن أن العملة التي منحنا إياها الشيطان، هي شرط الأمنية، بينما العملة في جيبي؟

فكّرت في سرعة في معنى هذا: إن الأمنية تحققت ولا شك، فإذا لم تكن عملة الشيطان هي المسئولة عن تحققها، فإن الأكثر بديهية أن بئر الأمنيات هو المسئول، بصرف النظر عن العملة التي تُقذَف فيه.... هكذا بدّلتُ مساري واتجهت إلى المزار... ورميتُ جنيهًا معدنيًا جديدًا، وتمنيت بأعلى صوت:

- لا أحبّاء! لا مزيد من الأحبّاء! لا أريد أن نلقى الحب أبدًا أبدًا!

صاحت (عصمت) في ضجر:

- ونِعم الأمنية! هل تمنيتِ لنا الوحدة باقي الحياة؟! شاطرة يا فتاة!

صحتُ بهما:

- اثنتان مخبولتان يارب! إن هذا لكثير

قالت (مشيرة):

- هذا بدلاً من أن تشكريني على إنقاذ حياتك؟

قالت (عصمت):

- بل أنا التي أنقذت حياتها معرضة نفسي للخطر مع الشيطان!
- إن ما فعلتهِ لعب عيال وليس هو المؤثر في مسار الأمنية، لذلك، أنا من أنقذها
- إن ما فعلتُه ذكاء نادر، ولولا حكمتي وحنكتي لضعتا معًا، ولذلك أسجّل حقي في ملكية إنقاذها
- إن الذكاء الحقيقي لهو البحث عن أبسط الحلول وليس أعقدها ولذلك أصرخ وأصرخ: أنا من أنقذها
- أنا من أنقذها
- أنا من أنقذهاااا

حاولت أن أفضّ الاشتباك بينهما فصحتُ بأعلى صوت:
- لا بأس لا يهم أنتما انقذتماني معًا!

لا أحد يأبه، فقلتُ ما أعرف أنه سيروقهما:
- إذًا هي القرعة... سأرمي العملة والتي تخمن وجه سقوطها هي التي أنقذتني...

سكتتا وقد راقتهما الفكرة:
- أريد عُملة.. بحثت (مشيرة) في جيبها ثم ناولتني عملة الشيطان..

قلتُ لهما قبل أن أرمي:
- ملك أم كتابة؟

قالت (عصمت): الملك.. السلطة والقوة والانحناء في حضرته
قالت (مشيرة): بل أنا التي تختار الملك.. الشهرة والجاه وإشارات الأصابع إليه
قلتُ: حتى في هذه تتشاجران. أراهنكن، ستستقر على الكتابة : الحرف، بث الروح.. أصل الأشياء ومنتهاها...

ثم رميتُ بها، وتابعناها بعيوننا إذ تعلو ثم تسقط تصطدم بالأرض وترن عليها فتتطوّح يمنة ويسرة حتى سقطت يد عليها التقطتها وقالت:
- لكم جميلة.. من أي العصور هي؟

ارتفعنا ببصرنا فإذا بـ (رجاء) تنظر لي وتقول:
- كيفكِ يا (ليلى)! ثمة خبر سيء لا أريدك أن تحزني من أجله

ارتجف قلبي:

- ما هو؟
- للتو خرجتُ من مكتب رئيس القسم، ويؤسفني أن أخبرك أن تأخرك في إعداد موضوع (أمل دنقل) جعله يكلّفني أنا بهذا الموضوع

أسقطَتْ العملة في يدي، ونظرت لي نظرة ظفر وقالت:

- آسفة!

ثم التفتت تغادر لكنها تذكرت شيئًا فصاحت:

- آه! على فكرة: هذه العملة تشبه كثيرًا جدًا العملة التي منحها لي المتسول العجوز قرب مزار الأمنيات... لقد ظننت (عصمت) تسخر حين أخبرتني أن أمنيتكم هناك تحققت.. لكن فكّرت أن التجربة خير دليل.

ثم مالت إليّ تقول:

- لا تحزني يا (ليلى) إن صارت (رجاء) معشوقة (دنقل)، فإنني لم أجد شيئًا أهم أتمناه أمس!

نظرنا إلى بعضنا في ذهول، ثم انفجرنا في الضحك.. وتشابكت أذرعنا إذ نسير ونردد:

معانا ريال! معانا ريال!

دا مبلغ عال! ومش بطّال!

~.~.~

خاتمة

والآن، (فانتوم)، هل يمكنك أن تُعمِل الكاميرا؟.. همم، لا أظن أن هذا السؤال الذي كنت أنوي سؤالك إياه.. كنت أود أن أقول: من قال أن الحب ليس مرعبًا؟ أنت رجل كبير ومسئول فهل تستطيع حماية من تحب؟ هل تستطيع أن تحمي فتاتك من الأوغاد واللصوص وقطّاع الطرق؟ هل تستطيع أن تجنبها السيارات المسرعة والأمراض والكوارث؟ هل تستطيع أن تحميها حتى من نفسك؟ أنت تنظر للباكين من فراق أحبائهم وترتجف خوفًا أن تهجرك.. أنت حتى لا تفكر أن ثمة اختراع يسمى موت يتسبب في فراق الأحباء.. هل تخاف أن تتركك وتموت.. هاه! إذًا.. كيف يكون شعورك لو تركت الموت وعادت إليك؟

~

"فيا ذات العيون الخضر

دعي عينيكِ مغمضتين فوق السر!"[19]

~

(تمت)

[19] براءة، ديوان مقتل القمر.

للتواصل
sallyadel1@hotmail.com

ولقراءة باقي أعداد السلسلة ومزيد من القصص المرعبة
مدونة (قصص رعب)
www.kesasro3b.blogspot.com